فوائد الحشرات

نظر للاب اسكندر طوران اليسوعي

يروي الكتاب الكريم في سفر التكوين انَّ الله كان اذا انتهى من خلق بعض الكائنات يستحسنها فيراها خيرًا . فيا تُرى هل منْ خير في تكوين هذه الالوف المؤلَّفة من اصناف الحشرات التي هي منتشرة على وجه الارض ؟ فايّ خير مثلًا في هذه الهوامّ غير الحياة التي يلقاها السائح وسط غابات افريقية الوسطى او في العدد العديد من الاقاصي التي تأوي الى مجاهل الهند ؟ او يقال انَّ طائلًا ما تحت البراغيث والبعوض وضروب الذباب وما شاكلها من دبيب الارض والهواء والماء التي تسطو على المزروعات وتمتصُّ لباب الاثمار وتقرض جذور النبات كالدوس والديدان والجراد والفيار كثيرا وكلُّها شهيرة بمساوئها وفسادها ؟

فماذا نقول انسأم بشرور الحشرات مباشرةً فنلوم الخالق على صُنعها ؟ كلَّا ثمَّ كلَّا . لكنَّ جوابنا يستدعي صرف نظرنا الى طبقات اعلى من هذه الارض الدنيا ميدان جهاد المخلوقات وساحة الوغى بينها جمعاء .

خلق الله الانسان قابلًا للكمال طالبًا للرقي بما اعطاهُ من القوى العقليَّة على خلاف البهائم التي لا تتجاوز غريزتها الطبيعيَّة لحفظ نوعها وصلاحها او تألف اذا كانت داجنةً ما يلقيها الانسان لمنفعته الشخصيَّة . وبديهي ان الحاجة هي تضطرّ الانسان العاقل الى طلب الوسائط وتؤدي بهِ الى الاكتشافات النافعة فجهادهُ في سبيل الحياة ينضي بهِ الى الانتصار من العوائق ويكسبهُ ثواب تعبهِ وكما انَّ الارادة تقوى بالعزم وتشتدّ بالجهاد اليومي ضدّ صوارف الحياة كذلك العقل يرتاض ويتَّسع عند بحثهِ عن الوسائل الكافلة بادراك الغاية وتذليل المصاعب التي تحول دونها

فلو افترضنا انَّ غلّات الفلّاح في مأمن من الغيران والدوس وحشرات اخرى تعيش من قرض الحبوب وانَّ الكرّام لا خوف لهُ من الهوامّ التي تأكل الجفنة وتفسد ثمرها وانَّ المسافر او النائم مطمئنّ البال من ضرر كل حيوان لأستسلم الانسان الى الدَّعة وضعفت عزيمتهُ لعدم الارتياض وفقدت همَّتهُ التي تزداد قوةً

بتوطئة الامور وتمهيد المسالك الوعرة كما ينتقض حبل صبره ويتلاشى جلده لعدم وجود ما ينشط عقله ويقهر ارادته

ثمَّ ان الحشرات في ذاتها لا تنوي الضرر بل تطلب صلاحها فاذا تعرَّضت للنبات او للغلَّات او لجسم الانسان والحيوان لا تريد بذلك الاذى وانَّما تريد حفظ كيانها ونوعها بما يصلح لها من القوت. كما انَّ الحيَّات والضواري لا تثور على الانسان الَّا لكونها تجد منهُ عدوًّا لها او لصغارها . فينبغي على الانسان ان يأخذ حذرهُ من الهوامّ السامَّة والحيوانات الضارية ويطلب الوسائط الفعَّالة ليصون نفسهُ ومالهُ من تلك الهوامّ التي تعيث في غلَّاته او تناوئ جسمهُ لتمتصّ دماءهُ

ومن المعلوم انَّ الحيوانات على اختلاف اجناسها حتى الحشرات والافاعي والسباع تجد في حياتها ما هو ضنين لسعادتها على خلاف الانسان الذي لا يشبع قلبهُ من خيرات هذا العالم مهما توفَّرت لديهِ اللذَّات . افليس هذا دليلًا ساطعًا على انَّهُ ليس من نسل القرود على زعم الدروينيين وانَّ لهُ ما خلا جسدهُ نفسًا حيَّة روحانية خالدة. فاذا ساورتنا الهوام وامرَّت عيشنا الحشرات ذكَّرتنا بهذه القضية لنفطن الى سعادتنا الحقيقية

ولعلَّ هذا الجواب الاوَّل لا يُقنع كل احد فيدركهُ فقط الرجل الروحاني. ولكن دونك جواباً آخر يُدركهُ كل رجل عاقل يعتقد وجود الله

انَّ من يسرح ابصارهُ في مخلوقات الكون لا يتمالك من الانذهال لما يراهُ فيها من العجائب التي تفتن العقول في المواليد النباتيَّة من حيث صورها واشكالها وزهورها واثمارها . وليست المواليد الحيوانيَّة دونها جمالًا وغرابة . فان كان جسد الانسان يقضي الاطبَّاء العجبَ من حسنهِ وتركيبهِ . فلنا ايضاً في ضروب الحيوانات ما يحملنا على تسبيح خالقها . ولعلَّ الهوامَّ والحشرات الصغيرة تظهر حكمة خالقها وقدرتهُ اكثر من الحيوانات الكبيرة بما يُرى فيها مع دقَّتها من النظام العجيب ومن اختلاف الاشكال وتباين الاخلاق والغرائز حتى اذا رآها مجموعة في متاحف الحيوانات او في خزانة ارباب الطبيعة لم يتمالك عن العجب وتسبيح الخالق فيهتف مع الشاعر :

فما عجباً كيف يُعصى الالـهُ ام كيف يجحدهُ الجاحدُ
وفيه في كلّ تحريكةٍ وفي كل تسكينةٍ شاهدُ

وفي كلّ شيءٍ لهُ آيةٌ تدلُّ على انهُ الواحدُ

*

ثم انَّ لهذه الهوامّ التي لا يقوى على عدّها احصاء فائدةً أخرى عمومية تنظمها في دائرة الكون الطبيعي وتجعلها حلقةً من حلقاته. وذلك انَّ عالمنا الهيولي في تقلُّب دائم لا تهدأ حركتهُ فتتحوَّل العناصر الجامدة والمعادن الى النبات ويتحوَّل النبات الى الحيوان ثم يعود الحيوان بعد موته فيغذي النبات ويموت النبات فيعود الى التراب. ففي هذه الحركة المتواصلة الحشرات والهوامّ الدقيقة منفعةٌ لا تُنكَر فانها كل يوم تخصب الطبقة الزراعيَّة من التربة وتجديها من القوَّة الغذائيَّة ما لا يقوم به السماد المعدني الذي يطرحهُ ارباب الفلاحة في زماننا فانَّ منفعة السماد الكيسويّ تتوقَّف خصوصاً على امتزاجه بالتربة الزراعيَّة المعروفة بالثرى (humus) المتكوِّنة من بقايا الحيوانات ونفاية النباتات. فترى كيف يتمُّ هذا الدور العجيب مباشرةً بالتربة التي تستعين بالعناصر الجوِّيَّة فتحيي الزرع وتنمي النبات والنباتُ يغتذي منهُ الحيوان ذو الفقرات والهوامّ الصغيرة معاً ثمّ يقوم الانسان ملك الكون فينال حاجتهُ من النبات والحيوان وفي آخر الامر تعود تلك المادَّة الى عنصرها المعدني بواسطة الهوامّ وخشاش الارض غالباً وهكذا تُثقِّل تلك الدائرة العجيبة التي لا تهدأ حركتها ابداً

فالحياة كما ترى تنال قوامها من الجماد ويمكنها ايضاً ان تغتذي من الحيّ. فانَّ الهامَّة الصغيرة تمتصُّ الثمار وترعى الغلّات والمزروعات وهكذا تنمو وتتوفَّر. الّا انَّ الطير يحتاج ايضاً الى غذائه فيلتهم تلك الحشرات المنبثَّة في الهواء والديدان الدابَّة على الارض. لكنَّ للطير ايضاً عدوّهُ فالبغاث منهُ تفترسهُ الزحّافات ثمّ تأتي الجوارح فتقطِّع الزحّافات ارباً فتأكلها. ولا تأمن الجوارح والسباع من اعداء تنال منها فيرميها الانسان برصاصه فتصبح طعاماً لدوابّ الارض وهمجها وخشاشها حتى ذرَّات النمل. فترى انَّ العالم كمائدة تتركَّب من فرائس ومفترسين يتناوب المفترسون في طلب غذائهم حتى اذا وجدوهُ اصبحوا طعاماً لغيرهم. واتَّا النبات اوَّل ما يُضحَّى في هذا المجزر لكنَّها هي ايضاً آخر من ينتفع من بقايا المائدة وفتاتها

وهذه المنفعة العموميَّة ليست الخدمة الوحيدة التي تؤديها الهوامّ والحشرات

لكنَّ لها منافع أخرى خاصَّة لا يُنكَر فضلها ينصُّ عليها ارباب الطبيعة

*

بيَّنا لك في مقالات سابقة فضل النَّحل وما ينالهُ الانسان من عسلها وشمعها وبديهيٌّ ان النحل هوامٌّ صغيرةٌ عديدة الاجناس تُرى في كل اقطار المعمور يفنى الناس حُمَّاها رغبةً في محاصيلها

او ليس الحرير من مصنوعات الهوامّ ؟ على اننا لا نعرف في بلادنا الَّا صنفاً واحداً من دود القز الذي اصلهُ من الشرق الاقصى وانَّما يوجد اصناف أخرى من الدود تصطنع خيوط الحرير منها صنف في جزيرة مدغشكار يُتَّخذ أمابيها الحريري المتين لنسج الثياب

ثمَّ انظر القرمز الذي يُتَّخذ للصبغ والتصوير فانَّهُ يُستخرَج من جثث عدَّة هوامّ من فصيلة دودية يدعونها دودة القرمز ولا سيما من ضربٍ منها يعيش على الصبَّير واصلهُ من بلاد المكسيك فنقلوهُ منها الى البلاد الحارَّة

وكذلك الذَّرانيح (cantharides) فانَّها دويبة حمراء منقَّطة بسواد طيَّارةٌ وهي سامَّة لكنَّ الاطباء يتخذونها كنقاطات ويدعونها ذُباب ميلانو (mouche de Milan)

والفلاحة عينها أليست تنال حصَّتها من فضل الهوامّ ؟ فان وجد الفلَّاحون في بعضها أذًى فكم في غيرها من خير ولو حكم ارباب الفلاحة حكماً منصفاً لرأوا ان خير بعض الحشرات يزيد على ضَيْر سواها . منها الهوامّ المتساوية الاجنحة (hyménoptéres) من الفصيلة النحلية (les apiens) لشبهها من النحل البيتي فانَّها من أجدى الهوامّ نفعاً لانَّها اذا جنت الزهور من النباتات والاشجار القحتها واهلتها لوضع بزورها وثمارها

وكل يعلم انَّ في الزهرة قسمين المدقّ (pistil) والطَّلع (étamine) يتَّفقان في تلقيح المبيض ووضع الثمر . وفي الطَّلع غبرةٌ دقيقة يدعونها لقاح الزهور (pollen) فهذا اللقاح لا غنى عنهُ لاستثمار الزهور فاذا نفذ الى مبيض المدقّ اثمرهُ

فمن يا تُرى يكون الوسيط لنقل هذا اللقاح من زهرة الى اخرى ومن الطَّلع الى المدقّ ؟ ذاك الوسيط غالباً هي الهوام من فصيلة النحل فانَّها اذا جنت الزهر من

الاشجار المثمرة والبقول وغيرها لصنيع العسل تصيب من مادّة لقاحها شيئاً كثيراً فينفذ جسمها في الطَّلع ويتمرَّغ في تلك المادّة الملقّحة ثمَّ تنتقل لعملها من شجرة الى اخرى ومن نبات الى آخر فاذا مسَّت مدقّ الزهور في تلك الشجر او ذاك النبات نال حاجتهُ من اللقاح واصبح مثمراً بفضل النحلة. وهو امر لم يَخفَ على ناصبي الاشجار المثمرة ولذلك يسعون باستحضار خلايا للنحل في حدائقهم. وما هو شائع عن النَّحل البيتي يتمّ ايضاً بواسطة هوامّ اخرى من جنس النحل تحقّق العلماء افادتها كتلقيح البقول والحبوب كالحنطة والشعير. وممَّا تبيَّنهُ اهل الزمير بالاختبار انَّ تينهم الشهير الفاخر انَّما يجود بفضل هامّة خصوصيَّة تلقّحهُ هناك

ثمَّ بين الهوام جنس عديد الاصناف ياحقونهُ بالحشرات المتطفّلة يُدعى الخنومون (ichneumons) معظمُ سعيهِ في اتلاف ذراريّ الحشرات الضارَّة. ومنها يتَّضح انَّ الحشرات التي تقرض الحبوب فتفسدها لها ايضاً اعدائها المتسلّطة عليها كأنَّ الله جعل الدواء بقرب الداء. وقلَّما تجد ارضاً يعيث السوس في غلّاتها الَّا تجد نوعاً من الاخنومون يسعى في قتالها. وللسنابل عدوَّان صغيران يفسد الواحد ساقها ويتمرَّض الآخر لحبوبها. وكذلك نوعان من الاخنومون يناجزانها القتال فالواحد يتفقَّد السنبلة زهرةً فزهرةً فاذا وجد العدوَّ سأط عليهِ بيضةً من بيضهِ فتلتهمهُ دودتهُ والآخر يرصد مجرى الساق فاذا شعر بوجود السوس انفذ بيضةً الى داخلهِ فلا يدع عدوًّا يفلت منهُ اذا وجدهُ. وما نقولهُ عن الحنطة يُقاس عليها نباتات أخرى كثيرة تُصبح كساحة وغىً بين الحشرات الضارَّة والنافعة

كذلك بين الهوام نوع من الذباب ذو جناحين فقط يُرى منتشراً في كل اقطار المعمور بعدد لا يعرفهُ الَّا الله. وهذا الذباب يحوم حول كل النبات بل يدوّم حول كل الاجسام ولا سيما نفاية النبات والميت من الحيوان؟ فان قلت وما الفائدة من كل هذه الحشرات او يمكن ان يقال انَّ لها نفعاً ما. أجل انها تُفيد فائدتين الفائدة الاولى كونها طعاماً لعدَّة طيور كالخطَّاف مثلاً الذي يصطاد منها الالوف في طيرانهِ وكالبلبل الذي يقيت بها صغارهُ وضروب أخرى من الطير تجد فيها قوتاً حاضراً اعدَّهُ الخالق لسدّ جوعها. اما الفائدة الثانية فأعظم واخطر وهي ملاشاتها لبقايا الحياة الفاسدة التي تحلّلت بالموت وانبعثت منها الروائح الكريهة والجراثيم المنتنة. ولولاها لأصبحت

شفيعة الرهبانيَّة اليسوعيَّة

للرهبانيَّة اليسوعيَّة ١٣ قديساً قد ادرجت الكنيسة اسماءهم في سجلّ اولياء الله. بينهم ثلثة شهداء في اليابان ولها ٩٠ طوباويًا منهم ٨٦ شهيدًا ولها ٨١ مكرَّمًا منهم ٦١ شهيدًا البحث الكنيسة سوى قضاتهم

الارض منجم كلّ الاوبئة . فخلقت العناية الالهية هذا الذباب لتنقية الهواء من عُدْواها . وهي تتناسل بسرعة غريبة وتنمو نموًّا لا يقوم باحصائه حساب حتى ان الطبيعي لينه (Linné) امكنهُ ان يقول بكل صحة انّ ثلاثاً من الذباب تكفي للاشاة جثّة فرس بزمن اسرع من زمن افتراس الاسد لها . لانّ تلك الذباب الثلاث تتناسل فتسلّط صغارُها على جثّة الحيوان ولا تلبث تلك الصغار ان تتناسل هي ايضاً وبعد ايام قليلة اذا عدت في مكان الجثّة رأيتها مجرّدة من كل لحمها واعضائها لم يفضل منها الّا هيكلها وشعرها وكل الباقي قد افناهُ الذباب

فترى من ثمّ ما للذباب من العمل المفيد . واذا نحن لا نعرف منها الّا جنسها المؤذي مع كونها اصنافاً عديدة وصلاحها يغلب على اذاها . لاسيما اذا اعتبرنا انّ الذباب لا يولّد الفسادَ لكنّهُ يتلافاهُ ويزيلهُ فاذا حصل في مكان فساد او نتن ترى الذباب من ساعته يسرع اليهِ ويضع على الجسم الفاسد منهن من بيضهِ فينتف البيض بعد قليل بل تكون المواليد حيّةً في بعض الاجناس فهذه الذراري تجلس على تلك المادة التي تعدّها لنفسها فاخرةً فتغتذي منها وبعد قليل لا يبقى لتلك المادّة الفاسدة من اثر ويعود الجوّ الى صفائهِ بعد فسادهِ بروائح ذلك الجسم الوبيّ

وليست الذبابة وحدها تشتغل بتطهير الجوّ من جراثيمهِ الفاسدة وانّما يوجد ايضاً حشرات أُخرى لتنظيف ارضنا من اقذارها ولا سيما بعض ضروب الخنافس المعروفة بالجُعلان (bousiers) التي يتقذّر منها الناس كما يتقذّرون من منظّفي المراحيض وحافري القبور ولو أنصفوا لعرفوا فضل من يقوم بهذه الاعمال المستكرهة التي لا يُستغنى عنها . وكذلك للجعلان خدَم مشكورة مع ما يلحق بها من الوخامة

والجعلان طوائف تتقاسم تنظيف الاوساخ كما يتقاسمهُ في المدن الناس الموكولة اليهم نظافة البلد فمنها لنزح الكُنُف ومنها للكناسة ومنها لدفن الموتى كلّ على حسب مهنتهِ . وقد درس المسيو فابر (Fabre : *Souvenirs Entomologiques, V^e Série*) اخلاق هذه الانواع كلها درساً طويلاً مدقّقاً ويقضي منها العجب لما تؤدّيهِ من الخدم . وهو يباشر بوصف اصحاب الكناسة وَنزح الحشوش فيصف عملها بما نذكر هنا خلاصتهُ قال : لا يكاد يسقط على الارض روث حيوان او بَعر غنم او عَذِرة بشر وما شاكلها الّا ترى حالًا عددًا عديدًا من الجعلان الكبيرة

والصغيرة تتهافت عليها فضلاً عمَّا يحوم فوقها من الذباب لعلمها بما في تلك المقاذير من الطعام وقد استدللت عليها بحاسة الشمّ. ولو عاينتها وبع ساعة فقط بعد براز الحيوان لرأيت منها ما يذهل نظرك بكثرة عددها وضروب اشكالها واختلاف الوانها وتباين حجومها. اولها الخنفسة السوداء التي كان المصريون يعبدونها منذ خمسة آلاف سنة واكثروا من رسومها في مدافنهم القديمة. ثم ابو جعران (copris) المسودّ اللون ايضاً الخطّط الاجنحة الغلافيَّة وفي وسط جبينه قرنٌ طويل وهو ايضاً من معبودات المصريين المعظَّمة كالخنافس. ومنها الخنفسة الحفّارة التي يُرى اسفل جسمها لامعاً صقيلاً كالشَّبه وهناك اصناف اخرى عديدة تمتاز بخواصها فهذه مغبرَّة وتلك سمراء وبعضها مفضَّضة الاجنحة. ومنها ما هو مقرَّن بقرن واحد او بقرنين يكرنان في اعلى قائمتيها. فكل هذه العُصَب تُقبل على العمل فتحفر لها اسراباً تخزن فيها المؤونة لصغارها وتُسرع بَيْضها عليها لتجد ساعة نَقْفها طعاماً مهيَّأ. ومنها ما لا يخزن قوتاً وانما يُقيم الزبل ويفتِّته وبذلك تزول روائحهُ الكريهة. امَّا الخنفسة إلهة المصريين فانها تأخذ قطعاً من السرقين فتُدحرجها وتكبّرها ثمَّ تدفنها وتدحرجها الى مكان بعيد حيث تطمرها

ومنها ضروبٌ شأنها طمرُ الغائط البشري فتعمد الى المَذرة وتدفنها تحت التراب فاذا مرَّت بعد ساعات قليلة لا تجد غير آثار الارض المحفورة حديثاً فهناك خزانة طعام تلك الجعلان التي ستر عن العيان ما يشمئزّ منهُ النظر او تستكرهُ رائحتهُ

ومن جملة الجعلان التي تُعنى بالنظافة العمومية صنفٌ هيئةُ الجثث الميتة فيدعى لذلك بدافن الموتى (nécrophores) فهؤلاء لا يتقوَّتون بالموادّ القذرة وانما يكتفون بدفن ما يجدونهُ من الاجسام الميتة ثم يجلسون عليها بيضهم. وهم يقصرون نقوبهم على خشاش الحيوان كالحشرات والدود وبغاث الطير والرمَّات وسوامّ ابرص فاذا استدلُّوا بحاسة شمّهم العجيب على وجود شيء منها تسارعوا اليها لينالوا منها رزق اولادهم. واذا بلغوا مكان الميت راقبوا الارض حولهُ ثم جعلوا يحفرونها تحتهُ وعلى جانبهِ بحيث يتحدَّر الميت بثقلهِ الى عمق يبلغ نحو ٢٠ سنتمترًا ثم يغطّونهُ بجُرف التراب المحفور. فبعد قليل تنحلّ الجثة وتفسد في الارض وبذلك تصبح

اكلاً طيباً لمواليد تلك الجملان التي تتنعم بتلك المآكل الى ان تبلغ تمام نشأتها فتخرج حشرات كاملة لامعة ذات الوان زاهية ناصعة ليس عليها اثر من المواد الكريهة التي كانت تتقلب في وسطها وتقتات فيها

فلا يجسر اذن احد ان يلوم الخالق على صنعه الحشرات . فما للمرء حقٌ بان يطالب الله على تكوينه الهوامّ الضارّة كما لا يطالبهُ على صنعه ذاك العدد العديد من الحشرات النافعة . فانَّ الله صنع كل شيء بحكمة وما نرى فيه نحن ضرراً يرى فيه غيرنا نفعاً ومن القى بنظره على المخلوقات جمعاء وجد في سياقها وعددها واختلاف غرائزها نظاماً عجيباً يسبي العقول بحسن ترتيبه . فان كان بينها بعض الكائنات يتأذى منها الانسان فذلك امر عرضي وتلك المخلوقات لا تقصد ضررنا وانما تقصد صلاح نفسها وسعادتها اذ ليس لها على الارض غاية سوى الحصول على هنائها الزمني ولا رجاء لها في حياة أخرى . فعلى الانسان العاقل ان يتروّى في خصائص الحيوان ويستفيد من غرائزه واخلاقه لمصالحه . فان عجز احياناً عن ذلك ورأى في الحشرات أذىً لنفسه فعليه ان يفتكر في غاية كيانه على الارض التي ليست هي السعادة الزمنية الزائلة كالبهائم وانما هي سعادة ابدية ينبغي عليه ان يرشح نفسهُ لها بالجهاد وممارسة الفضيلة لاسيما التمرن على اوجاع هذه الحياة

البيّنات الكتابية

في انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً

نظر لاهوتي للاب شرل ايلا اليسوعي

جرت حديثاً في حمص بين كاهنين احدهما روم ملكيّ كاثوليكي حضرة الاب اغناطيوس عبّود من اساتذة مدرسة الآباء اليسوعيين والآخر روبي ارثوذكسي حضرة الخوري عيسى اسعد مدرّس الدينيات في المدارس الارثوذكسيّة بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن . فحمي وطيس الجدال بين المناظرَين وتبَدّى رأيهما فطُبعت في ذلك كراريس ولوائح نُشرت بين الجمهور ادّعى فيها الارثوذكسي الظفر بناظرهما مع انَّ حضرتهُ وضع جائزةً جديدا من يأتيه بجواب على هذا